مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠٠٧/٤٣

الأحد ٢٨ تشرين الأول

تذكار القديسين الشهداء ترنتيوس وزوجته نيونيلا وأولادهما السبعة وأبينا البار استفانوس السابوي

اللحن الخامس

الرسالة

(غلاطية ٦: ١١–١٨)

يا إخوةُ انظروا ما أعظمَ الكتاباتِ التي كتبتُها إليكم بيدي* إنَّ كلَّ الذين يريدون أن يُرضوا بحسبِ الجسدِ يُلزِمونَكم أن تختَتِنوا وإنَّما ذلك لئلاَّ يُضطهدوا من أجلِ صليبِ المسيح* لأنَّ الذينَ يختَتِنون هم أنفسُهم لا يحفظون الناموسَ بل إنَّما يريدون أن تختَتِنوا ليفتخِروا بأجسادكم* أمَّا أنا فحاشى لي أن أفتخِرَ إلاَّ بصليبِ ربِّنا يسوعَ المسيحِ الذي بهِ صُلبَ العالمُ لي وأنا صُلبتُ للعالم* لأنَّهُ في المسيحِ يسوعَ ليسَ الخِتانُ بشيءٍ ولا القَلَفُ بل الخليقةُ الجديدة* وكلُّ الذين يسلُكونَ بحسبِ هذا القانونِ فعليهم سلامٌ ورحمةٌ وعلى إسرائيلَ اللهِ* فلا يجلبْ عليَّ أحدٌ أتعاباً فيما بعدُ فإنِّي حاملٌ في جسدي سِماتِ الربِّ يسوع* نعمةُ ربِّنا يسوعَ المسيحِ مع روحِكم أيُّها الإخوة، آمين.

القديسة الشهيدة أنستاسيا الرومية

«من سيفصلُنا عن محبَّةِ المسيح، أشدَّةٌ أم ضيقٌ أم اضطهادٌ أم جوعٌ أم عُريٌ أم خطرٌ أم سيف؟ كما هو مكتوبٌ إننا من أجلِكَ نُماتُ كلَّ النهارِ، قد حُسبنا مِثلَ غنمٍ للذَّبح» (رو ٨: ٣٥–٣٦). هذا هو لسان حال جميع القديسين وبشكل خاص الذين عاشوا أيام الاضطهادات التي عانى منها المسيحيون في القرون الأولى بعد انتشار المسيحية. من بين هؤلاء القديسة أنستاسيا الشهيدة (نعيّد لها في ٢٩ تشرين الأول) التي عاشت في مدينة رومية في القرن الثالث وعاصرت الإمبراطورين ديكيوس وفاليريانوس.

كان يُسمح للشعوب الواقعة تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية أن تمارس عباداتها شرط أن تقدّم هذه الشعوب الخضوع المطلق للسلطة الرسمية، وفيما بعد صار يُطلب منها تقديم العبادة اللازمة للإمبراطور كإله. أما المسيحية فبما أنها لم تكن ديانة خاصة بشعب ما ولأنها أخذت تنتشر بسرعة بين مختلف الأمم، الأمر الذي قد يؤدّي إلى زوال الديانة القومية، وبما أن المسيحيين رفضوا الإعتراف بالإمبراطور كإله، فقد قرر الأباطرة أن يضطهدوا المسيحيين آملين أن يقضوا على المسيحية. إلا أن اضطهاداتهم أدت إلى انتشار أكبر للمسيحية بفضل إيمان الشهداء وبسالتهم .

تميَّز عهدا الإمبراطورين ديكيوس وفاليريانوس بالتشدّد مع المسيحيين وبمحاولة إجبارهم بالقوة على تقديم الذبائح للأوثان. أراد ديكيوس (حكَمَ بين ٢٤٩ و٢٥١) توحيد الإمبراطورية عبر إخضاع رعاياها للديانة القومية، فشكَّل لجاناً تُشرف على هذا الخضوع، وكانت تستدعي المسيحيين وتحاول إقناعهم بتقديم الذبائح للآلهة، وفي حال الرفض كانت تلجأ إلى العذابات المريعة التي تؤدّي في أغلب الأحيان إلى الموت. يُعد اضطهاد ديكيوس من أعنف وأشمل الاضطهادات التي مرّت على المسيحيين. من جهته فاليريانوس (حَكَمَ بين ٢٥٣ و٢٦٠) أصدر مرسومين يمنع فيهما العبادة المسيحية وزيارة المدافن ويجبر الإكليروس المسيحي على تقديم القرابين للأوثان مما أدّى إلى استشهاد عدد كبير من المؤمنين،

الإنجيل

(لوقا ٨: ٤١–٥٦)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ اسمه يايرُسُ وهو رئيسٌ للمجمع وخرَّ عند قدَمَيْ يسوعَ وطلبَ إليه أن يدخُلَ إلى بيته* لأنَّ له ابنةً وحيدةً لها نحو اثنتَيْ عشرَةَ سنةً قد أشرفَت على الموت. وبينما هو منطلِقٌ كان الجموعُ يزحمونه* وإنَّ امرأةً بها نزفُ دمٍ منذ اثنتَيْ عشرةَ سنةً وكانت قد أنفَقَتْ معيشَتها كلها على الأطِبَّاءِ ولم يستطِع أحدٌ أن يشفِيَها* دنت من خلفِه ومسَّت هُدبَ ثوبه وللوقت وقفَ نزْفُ دمها* فقال يسوعُ مَن لمسني. وإذ أنكرَ جميعهم قالَ بطرسُ والذينَ معهُ يا معلّمُ إنَّ الجموعَ يضايقونكَ ويزحمونكَ وتقول مَن لمسَني* فقال يسوعُ إنَّه قد لمَسني واحدٌ. لأنّي علِمتُ أنَّ قوَّةً قد خرجت منّي* فلمَّا رأتِ المرأةُ أنَّها لم تَخْفَ جاءت مُرتعِدةً وخرَّت له وأخبَرتْ أمامَ كلّ الشعبِ لأيَّةِ علَّةٍ لمستهُ وكيف برِئت للوقت* فقالَ لها ثِقي يا ابنةُ. إيمانُكِ أبرأكِ فاذهبي بسلامٍ* وفيما هو يتكلَّمُ جاء واحدٌ من ذوي رئيسِ المجمعِ وقال لهُ إنَّ ابنتَك

إكليروس وعلمانيين.

عاشت القديسة أنستاسيا أيام حكم داكيوس وفاليريانوس، وقد أنعم الله عليها بالغنى والجمال، لكنها آثرت الحياة بقرب السيد على التمتّع بالخيرات الأرضية. قررت أن تُنفق قسماً من أموالها على المسيحيين المسجونين بسبب عدم نكرانهم لإيمانهم، ووزعت باقي أموالها على الفقراء. بعد ذلك انتقلت هي ومجموعة من رفيقاتها العذارى مع سيدة مقتدرة اسمها صوفيا، (كانت بمثابة معلّمة لهن)، للإقامة في بيت في طرف المدينة للتدرب على الشهادة اليومية للمسيح عبر النسك والجهاد ومحاربة الأهواء، سعياً منهن ليكنّ كالعذارى الحكيمات اللواتي تزوّدن بزيت الفضائل لكي تبقى مصابيحهن مشتعلة حين مجيء الختن.

مع مرور الوقت ذاع صيت أنستاسيا كما سبق فأكد الرب يسوع: «أنتم نورُ العالمِ، لا يمكن أن تُخفى مدينةٌ موضوعةٌ على جبل، ولا يوقدونَ سِراجاً ويضعونه تحت المكيالِ بل على المنارةِ فيُضيءُ لجميعِ الذينَ في البيتِ» (متى ٥: ١٤–١٥). هكذا أحب المسيحيون فضائل أنستاسيا وانجذب الوثنيون بجمالها، فقام بعض صغار النفوس بإخبار الوالي بروبس عنها وعن إيمانها بالمسيح. أمر الوالي بإحضارها إليه لكي يستجوبها وأتت أنستاسيا إلى حضرة الوالي مُساقةً من الجنود: «وتُساقونَ أمامَ وُلاةٍ وملوكٍ من أجلي شهادةً لهم وللأممِ» (متى ١٠: ١٨).

لم تجزع أنستاسيا، الصبية الجميلة التي كانت في العشرين من عمرها، ولم تخف مما يستطيع الوالي أن يفعله بها إن جاهرت بإيمانها لكنها بقيت هادئة. عند سؤال الوالي لها إن كانت حقاً لا تؤمن بآلهة الإمبراطورية وترفض عبادتها ردّت بالإيجاب واعترفت بإيمانها بالرب يسوع. عندئذٍ هدَّدها الوالي بالعذابات لكنها بقيت صامدة في إيمانها غير المتزعزع، ثم حاول أن يستميل قلبها بالترغيب وبالوعود لكنه فشل. أخيراً أسلمها إلى المعذّبين فلم يظهر عليها أي أثر للخوف حفاظاً منها على وصية الربِ يسوع: «لا تخافوا من الذينَ يقتُلونَ الجسدَ ولكنَّ النفسَ لا يقدِرونَ أن يقتلوها، بل خافوا بالحريِّ من الذي يقدِرُ أن يُهلِكَ النفسَ والجسدَ كِليهما في جهنم» (متى ١٠: ٢٨).

مارس الجلادون شتى أنواع التعذيبات على أنستاسيا التي صبرت على الآلام المبرحة إلى أن نالت إكليل الشهادة حين قطعوا هامتها بحد السيف. حينئذٍ جاءت معلّمتها صوفيا وأخذت رفاتها التي بقيت محفوظة على مدى العصور ومعظمها موجود اليوم في دير القديس جاورجيوس في جبل آثوس.

يرتبط اسم أنستاسيا باسم آخر هو كيرلس الشاب المسيحي الذي كان حاضراً أثناء تعذيبات القديسة وانفطر قلبه عليها فسقاها كأس ماءٍ وأصبح شريكاً معها في الشهادة إذ قطع الجند رأسه أيضاً.

ختاماً نسأل الله أن يؤهلنا جميعاً أن نحرز شجاعة القديسة أنستاسيا وثباتها في الإيمان، وأن نتزيَّن مثلها لا بالزينة الخارجية بل بالجهاد الروحي والفضائل الروحية لأنّ في هذه يكمن الجمال الحقيقي الذي لا يذبل.

في الصلاة

ان حياة الصلاة هي جزء من موضوع أكثر شمولية أي الحياة الروحية عموماً، الحياة في المسيح، الإرتقاء الروحي، الطريق نحو التقديس، إلى جانب حياة الجهاد

قد ماتت فلا تُتعِب المعلّم* فسمعَ يسوعُ فأجابه قائلاً لا تَخَفْ. آمِنْ فقط فتبرأ هي* ولمَّا دخل البيتَ لم يدَعْ أحداً يدخلُ إلاَّ بطرسَ ويعقوبَ ويوحنا وأبا الصبيَّةِ وأمَّها* وكان الجميعُ يبكون ويَلطمون عليها. فقال لهم لا تبكوا. إنَّها لم تمُتْ ولكنَّها نائمة* فضحِكوا عليه لِعلمهم بأنها قد ماتت* فأمسكَ بيدِها ونادى قائلاً يا صَبيَّةُ قومي* فرجعت روحُها وقامت في الحال فأمرَ أن تُعطى لِتأكلَ. فدَهِشَ أبواها فأوصاهما أن لا يقولا لأحدٍ ما جرى.

تأمل

أنظروا كيف ان المرأة كانت أفضل من رئيس المجمع، لم توقفه، لم تمسكه، لقد لمسته فقط بطرف أصابعها، وبينما جاءت بعد رئيس المجمع ذهبت صحيحة قبله. لقد طلب الطبيب إلى بيته أما هي فقد اكتفت بالاقتراب منه. إن كانت مربوطة بألمها لكنها كانت مجنّحة بإيمانها. انتبهوا كيف يعزّيها السيد «إيمانك أبرأك». لقد قال لها هذا بعد ان جلبها إلى وسط الشعب لكي يعلّم رئيس المجمع أن يؤمن ولكي يجعل المرأة تخبر أمام كل الشعب هذا، بالإضافة إلى النعمة الشخصية والتنقية الداخلية عبر الأصوام ومحبَّة الآخرين والإقبال على الأسرار المقدَّسة، إن حياة الصلاة تساهم في تجديد المؤمن خاصة في هذا الزمن الصعب الذي نحيا فيه.

القديس يوحنا الذهبي الفم يقول: «الصلاة هي ميناء في عواصف الحياة، مرساة للمتخبّطين في أمواج العمر. إنّها كنزٌ للفقير وأمن للغني، شفاءٌ للمريض وحِفظٌ للصحة. الصلاة تدحض الشرّ وتحافظ على الخير». ويتابع الذهبي الفم قائلاً: «الصلاة تسكِت عواطف الروح، تخفّف ثورة الغضب، تطرد الحسد، تذيب الشهوة الشريرة، تُفني محبّة الأمور الدنيويّة، وتجلب للروح سلاماً وصفاءً عظيمَين».

يصبح جوهر الصلاة جليًّا من خلال ما تقدّمه لنا. فالقديس يوحنا السلّمي يقول إنّ الصلاة تعني الاتّحاد بالله، أمّا القديس غريغوريوس السينائي، الذي أراد أن يجوب العالم من أجل تعليم الجميع فوائد الصلاة، فيقول: «إنّ الصلاة نارٌ لطيفة للمبتدئين، ونور عطِرٌ للمتقدّمين. الصلاة تعلّم القلب، فهي الأمل بالخلاص، علامةُ التنقّي، رمزٌ للقداسة، معرفةُ الله، رباط الروح القدس، فرح يسوع، بهجة الروح، رحمة الله، علامة المصالحة، ختم المسيح، شعاع الشمس العقليّة، تأكيد المسيحيّة، وبرهان الحياة الملائكيّة». والقديس غريغوريوس النيصصي يقول ان الصلاة هي فعل مناجاة بين الإنسان والله. أي كأنها حوار بين حبيبين لا ينقطع.

العوائق الأساسية التي تواجه الصلاة هي: كثرة النوم، كثرة الأكل، كثرة الكلام، والعيش الرغيد؛ هذه الأمور تؤدّي إلى نسيان الله وخمول الجسد، كما تجعل من اليقظة وارتقاء الروح أموراً مستصعبة إضافةً إلى أنّها لا تساعد في التنقّي بل تربك الذهن والقلب اللذين يجب أن يكونا هادئَين وسلاميين خلال الصلاة.

كيف نصلّي؟ متى نصلّي؟ وكم يجب أن تطول صلاتنا؟ أسئلة كهذه تدلّ على غياب الصلاة الحارّة والمستمرّة. فمَن يحبّ الصلاة بحقٍّ لا يبحث عن حدود لها، إذ إنّه يصلّي كلما سنحت له الفرصة. فصلاة اليوم هي امتداد لصلاة أمس، وصلاة الغد امتداد لصلاة اليوم؛ ويُقال إنّ الرجل القديس لا يستعمل أبداً عبارة الختم «بصلوات آبائنا القديسين...» لأنّ حياة الصلاة لا نهاية لها.

إنّ عدم القدرة على جعل الصلاة خبرةً يوميّة يدلّ على ضعف في حياتنا الروحيّة، لكن يجب ألا نُخذل إذا كنا نعرف هذا الضعف ونعترف به، بل على العكس علينا اعتباره حافزاً لنكثّف صلواتنا وجهاداتنا. يمكننا تعلّم الصلاة نظريًّا في أيّ وقتٍ وأيّ مكان، لكن يجب أن تكون لدينا أوقات خاصة، إلى جانب الخِدَم الكنسيّة، حيث يمكننا القيام بصلواتنا الفرديّة.

سُئل الأنبا مكاريوس المصري مرّةً عن كيفيّة إقامة الصلاة فأجاب: «ليس ضروريًّا إطالة وقت الصلاة مكثرين من الكلام غير النافع، لكن عوضاً عن ذلك إرفع يديك وقل: اللهمّ ارحمني بحسب مشيئتك. وإذا كانت ثمّة حرب على وشك النشوب قل: يا ربّ ارحمني. فهو يعلم ما يوافق ويشملنا برحمته». يمكننا الصلاة بواسطة الكلمات، كما يمكننا جعل حياتنا كلّها صلاة وذبيحة تكريس لله، صلاةً من دون كلمات، ربما تكون أقوى وأعظم صلاة. فمن خلال صلاة صامتة ومتواضعة يمكننا إفساح المجال لله في حياتنا من أجل أن يتكلّم.

الأنبا إسحق يقول: «متى اقتربت من الله لتصلّي إعتبر نفسك نملةً لا قيمة لها، مخلوقاً أرضيًّا زاحفاً، وطفلاً متلعثماً». الأنبا سيرابيون

والفائدة التي واكبت كلماته والتي لا تقلُّ عن الصحة الجسدية. لقد أراد أن يمجّد المرأة ويصلح الآخرين لا أن يفرض نفسه وهذا واضح للسبب التالي: لأنه بدون كل ذلك كان يستحق التعجّب.

عندما وصل إلى بيت رئيس المجمع ورأى الجمع مضطرباً قال لهم «لا تبكوا، لم تمت الابنة لكنها نائمة، فضحكوا عليه» (لو ٨:٥٢– ٥٣ ومتى ٩:٢٣). أنظروا إلى الزمّارين يرثون موت الابنة والمسيح يخرجهم ويدخل معه الوالدين حتى لا يمكنهم أن ينكروا زاعمين أن الشفاء قد حصل عن طريق آخر. وقبل أن يقيم الابنة فعلاً أقامها بكلمة منه قائلاً: «لم تمت لكنها نائمة»، يفعل ذلك مرات عديدة. عند هيجان البحر زجر أولاً تلاميذه والآن، يفعل الشيء نفسه عندما يطرد الاضطراب من نفوس الحاضرين ويبيّن للحال انه يسهل عليه أن يقيم الأموات. ألم يفعل ذلك مع لعازر عندما قال «إن لعازر صديقنا قد مات». فقد أراد أن يُعلم كيف يجب علينا أن لا نخاف الموت لأن ذلك لم يكن موتاً بل هو مجرد نوم. كان ينبغي عليه أن يموت هو نفسه، ولذلك كان يهيّئ تلاميذه أمام أجساد الآخرين لكي يتحمّلوا نهايته الخاصة بهدوء.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يقول إنّ وقفة المصلّي يجب أن تكون كوقفة الجندي المتأهّب: بثبات ويقظة، بحالة جهوزيّة لأي طارئ وباستعدادية شُجاعة. أمّا معلّم الصلاة العظيم، القديس يوحنا الذهبي الفم، فيقول: «علينا ان نصلّي دائماً بيقظة وانتباه شديدين، وهذا يكون مستطاعاً متى فهمنا جيّداً مع مَن نتحاور. يجب أن نصلّي بندم ودموع، بوقار وصفاء وهدوء بالغ. يجب ألا تمنعنا خطايانا عن الصلاة؛ فنحن نخجل من خطايانا لكن من دون أن تمنعنا من إتمام صلواتنا. فعلى الرغم من كونك خاطئاً، إقترب من الله بواسطة الصلاة حتى تتمكّن من مصالحته؛ أعطِهِ فرصة ليغفر خطاياك، التي سيغفرها مظهراً محبّته لبني البشر». ويتابع قائلاً: «إذا كنت تخاف الإقتراب من الله بسبب خطاياك فأنت بذلك تعيقه عن إظهار محبّته وغنى عظيم رحمته. إذاً، أطرد عنك بعيداً كلّ فكر تردّد وشكّ يمنعك عن الصلاة بسبب خطاياك».

ثمّة محطّات وخطوات عديدة في رحلة المصلّي الروحيّة الارتقائية. دراسة كلمة الله هي أولى هذه الخطوات ففي القواعد الديرية الصارمة للقديس باخوميوس، نجد قانوناً يحتّم على الرهبان المبتدئين أن يتعلّموا القراءة والكتابة من الرهبان الأكبر سنًّا، وذلك من أجل دراسة الكتاب المقدّس.

يتعلّم العقل من الأمور التي تشغله. فإما أن يشغله الله أو الأمور الدنيوية. فإن كان أحدنا منشغلاً بحياة الآخرين طوال النهار فهو بذلك لا يجني منفعةً لنفسه. فمن خلال الفضول المفرط والمحادثات البطّالة، حيث تُفصَّلُ خصوصاً خطايا الآخرين براحة واهتمام بالغَين، نكون في صدد إشباع أهوائنا الخاصة. فقد لوحظ أنّ أولئك الذين يتتبّعون الفضائح، ويثرثرون، ويدافعون عن الأخلاقيات موجّهين الاتّهامات للآخرين، يعانون هم أنفسهم من مشاكل خَطِرة. يجب تجنّب الانشغال بالأمور غير المثمرة والأحاديث الخبيثة لأنّ ذلك يمكنه فقط تعطيل روح الصلاة.

أما دراسة كلمة الله تساعدنا في جهادنا وصلاتنا من خلال إيقاظ طاقاتنا المنسيّة، ومن خلال تقويتنا وتنشيطنا. يقول الأب إشعيا في هذا الصدد: «عندما تستيقظ صباحاً، وقبل أن تبدأ عملك، أدرس كلام الله. فعندما يكون كلام الله رفيقك الدائم فإنّك لا تعود تنشغل بالأمور الدنيويّة، وتالياً لا تعود تضطرب، وهكذا لن تسقط في الخطيئة». والقديس أفرام السرياني يقول: «إنّ كلام الله ينعش حرارة الروح. إرضع كلام الله كطفل رضيع حتى تتمكّن من النمو». الراغب في أن يعيش حياة الصلاة عليه أن يغتذي يومياً من الكتاب المقدّس؛ فإنّ دراسة الكتاب تعجّل في إدخال الله إلى حياتنا، ومن الجيّد أن تسبق قراءة الكتاب والكلمة كلّ صلاة.

نقل رفات القديس جاورجيوس

بمناسبة ذكرى نقل رفات القديس جاورجيوس يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الجمعة ٢ تشرين الثاني في كنيسة القديسة كاترينا في مدرسة البشارة وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح السبت ٣ تشرين الثاني في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb